أسباب تمسك الصين بتركستان الإسلامية

لعلّ سائلاً يسأل: لماذا تتمسك الصين مع كل إمكانياتها الجبارة وقدراتها البالغة بهذا الإقليم الإسلامي؟ وما قيمة هذه القطعة من الأرض التي لم يسمع عنها أصلاً كثيرٌ من المسلمين؟!

إنّ تركستان الشرقية من الأهمية بمكان بالنسبة للصين، ودعونا نفصِّل في هذه النقطة قليلاً؛ حتى ندرك حجم المشكلة، وبالتالي نرفع من درجة تعاطفنا مع أهلنا هناك.

أولاً: هذه ليست بالأرض القليلة؛ فمساحتها 1.8 مليون كيلو متر مربع أي ثلاثة أضعاف مساحة فرنسا، وكذلك ثلاثة أضعاف العراق، وستين ضعف فلسطين! وتمثل 17% من مساحة الصين الإجمالية؛ فالصين لن تتنازل بسهولة عن جزءٍ يمثِّل أكثر من سُدسها.

ثانيًا: الكثافة السكانية بتركستان الشرقية قليلة جدًّا، فبعد كل التهجير الذي تقوم به الصين إلى تركستان فإنّ مجموع سكان تركستان في إحصاء 2008م يبلغ 20 مليون

فرد، وهذا يعطي كثافة سكانية قدرها 12.5 فرد في كل كيلو متر مربع، بينما الكثافة السكانية في الصين نفسها عالية جدًّا تصل إلى 165 فردًا في كل كيلو متر مربع، حيث بلغ تعداد الصين في سنة 2008م إلى أكثر من 1.3 مليار فرد، فضلاً عن أن الصين تحتل إقليم التبت كذلك، وتبلغ مساحته 1.2 مليون كم مربع، ويسكنه ثلاثة ملايين فقط، فإذا أخرجناه من المعادلة صارت كثافة السكان في الصين الأصلية أكثر من 193 فرد في الكيلو متر المربع الواحد، وهي كثافة ضخمة؛ وهذا يدفع الصين للتمسك بإقليم تركستان الشرقية لترفع ضغط السكان عن بلادها، خاصة مع اعتبار دفء الطقس في تركستان خلافًا للبرودة القارسة في إقليم التبت المحتل كذلك، وهذا ما تقوم به الصين فعلاً في الثلاثين سنة الأخيرة.

الثروات البترولية لتركستان الشرقية

ثالثًا: رزق الله إقليم تركستان الشرقية ثروات ضخمة جدًّا من البترول والغاز والفحم، وهي تمثِّل بذلك قاعدة طاقة في غاية الأهمية بالنسبة للصين، وهي الآن ثاني منتج للنفط في الصين؛ حيث تنتج 27.4 مليون طن سنويًّا، وتأتي بعد إقليم هيلونجيانج في شمال شرق الصين وينتج 40.2 مليون طن، ومع ذلك فإنه من المنتظر أن تصبح تركستان في سنة 2010م هي المنتج الأول للنفط في الصين، حيث سيصل إنتاجها

إلى 60 مليون طن سنويًّا، أما في سنة 2020م فيتوقع الخبراء أن يصل إنتاجها إلى 100 مليون طن سنويًّا، لتصبح لها مكانة عالمية، علمًا بأن احتياطي النفط بتركستان يبلغ 8.2 مليار طن!.

البترول والغاز الطبيعي في تركستان

أما بالنسبة للغاز الطبيعي فإن احتياطي تركستان هائل، ويبلغ 10.8 تريليون متر مكعب، وكذلك بالنسبة للفحم، حيث يبلغ الاحتياطي منه 2.19 تريليون طن، ويمثِّل 40% من إنتاج الصين بكاملها، فضلاً عن أنه يتميز بكثرة أنواعه، وجودته الفائقة، وفي مشروع الصين أن تحوِّل هذا الفحم إلى قاعدة ضخمة لإنتاج الكهرباء.

رابعًا: مع كل هذا الإنتاج الضخم من البترول والغاز الطبيعي فإنه لا يكفي دولة صناعية مثل الصين، حيث تأتي الصين في المرتبة الثانية مباشرة بعد أمريكا في استهلاك الطاقة؛ لذلك فإن الصين تعتمد بشكل أساسي على البترول القادم لها من دول وسط آسيا في منطقة القوقاز، وقدَر تركستان الشرقية أن أنابيب نقل البترول تمر بكاملها في أراضيها! وبالتالي فسيطرة الصين على تركستان يمثِّل بُعدًا استراتيجيًّا خطيرًا، حيث يمكن للحركة الصناعية أن تُشلَّ إذا ما تعرضت هذه الأنابيب للخطر.

مناجم اليورانيوم وصحراء تكلماكان

خامسًا: تمثِّل تركستان كذلك مخزونًا استراتيجيًّا لما هو أغلى من البترول والفحم!! فتركستان غنية بمناجم اليورانيوم اللازم للصناعات النووية، وبها ستة مناجم تنتج أجود أنواع اليورانيوم؛ ولهذا فهي مؤهَّلة لتكون دولة نووية إذا انفصلت عن الصين، خاصة أن لها علاقاتٍ حدودية مع روسيا، التي قد تقف إلى جوارها في مشروعها النوويّ مثلما تفعل مع إيران؛ لإحداث توازن في المنطقة مع الوحش الصيني.

وليس البترول والغاز والفحم واليورانيوم فقط هي الثروات الوحيدة التي تنتجها أرض تركستان، بل إن بها الكثير من المعادن الأخرى، يأتي في مقدمتها الذهب!!

سادسًا: توجد في تركستان مساحة شاسعة من الأرض الصحراوية تستخدمها الصين في إجراء تجاربها النووية العديدة وهي ، والصين بلا جدال دولة نووية من الطراز الأول؛ لذلك فهي تحتاج إلى مثل هذه المساحة لاستمرار التجارب، وهي أرخص كثيرًا من الخوض إلى أعماق البحار لإجراء التجارب، كما أن الشعب الذي قد يتأثر سلبًا من التجارب النووية شعب مسلم لا تجد الصين غضاضة في إلحاق الأذى به! ولنفس

السبب أيضاً فإن الصين تحتفظ بمعظم صواريخها الباليستية النووية في هذه المنطقة؛ مما يرفع من قيمتها الاستراتيجية.

مساحات زراعية وأهمية استراتيجية

سابعًا: من الناحية الزراعية تمتلك تركستان مساحات زراعية شاسعة، وهي من أجود الأراضي في الصين، وبتركستان أكبر نهر داخلي في الصين، وهو نهر تاريم، كما أن بها أكبر بحيرة عذبة في الصين، وهي بحيرة بوستينج وتتمتع تركستان بجو دافئ مشمس طوال العام تقريباً، وهذا يؤهِّلها لإنتاج زراعي متميز، وهي من أكثر المناطق المصدرة للمنتجات الزراعية داخل وخارج الصين، وهي أكبر قاعدة لإنتاج القطن في الصين، ويتميز قطن تركستان بجودة فائقة، وهو القطن الطويل التيلة كما تنتج تركستان أفخر أنواع العنب والبطيخ الأصفر، وإضافةً إلى ذلك تنتج تركستان الذرة الشامية والأرز والتفاح والكُمَّثْرى والمشمش والكَرَز، وعددًا كبيرًا من الخضراوات المتميزة.

ثامناً: تمثل تركستان بحدودها الواسعة، التي تبلغ أكثر من 5600 كيلو متر أهمية استراتيجية قصوى للصين، فهي تجاور 8 دول آسيوية، يمثِّل كلٌّ منها مشكلة بالنسبة للصين؛ فمن الغرب يحدّها خمس دول إسلامية هي كازاخستان وطاجيكستان وقيرغيزستان وأفغانستان وباكستان، وهي

دول تمثِّل خطراً داهماً على الصين من حيث انها تضم أعداداً كبيرة من المسلمين، ومنهم الكثير من الذين يُطلقِون عليهم إرهابيين، ومِن ثَم تعتبر الصين أنّ إقليم تركستان الشرقية عبارة عن حائط صدٍّ يمنع دخول الإرهابيين إلى الصين الأصلية كما تجاور تركستان الشرقية دولتيْن خطيرتين على الصين لأنهما من الدول النووية، وهما روسيا والهند، وهذا أيضاً يفسِّر تركُّز الصواريخ الباليستية في منطقة تركستان وأما الدولة الحدودية الثامنة فهي منغوليا، ومشاكلها مع الصين قديمة، وتبادل الاحتلال بين الدولتيْن أمر تاريخي مشهور، ولم تبنِ الصين سورها العظيم إلا للحماية من منغوليا ولهذه الحدود الملتهبة يصعب جدًّا على الصين التنازل عن دولة تركستان الشرقية.

الروح الإسلامية العالية والرعب الصيني

تاسعاً: الروح الإسلامية العالية التي يتمتع بها الأتراك عموماً، وشعب الإيجور خصوصاً، ترهب الصين؛ فهذا الشعب عانى الكثير في تاريخه من أزمات كان من المتوقع أن تمحو عقيدته، أو تجعله يتنازل عن ثوابته، لكنه استمر على دينه محافظًا عليه، فخورًا به، معتزًا بأن تركستان هي تركستان المسلمة وراجعوا قصة الشعب العظيم الذي تلقى الضربة الأولى من التتار، فإذا به بصبره وقوة تحمُّله وحُسن تطبيقه لقواعد الإسلام يحوِّل المغول من وثنيِّين لا وزن لهم إلى مسلمين يعبدون

الله تعالى، ويتّبعون رسوله الأكرم صلى الله عليه وسلم ولا ننسى الاحتلال الصيني المتكرِّر، ولا ننسى الدموية الشيوعية، ولا ننسى أن تركستان كانت محصورة بين أكبر قطبيْن شيوعيين إجراميين في العالم هما الاتحاد السوفيتي والصين، ومن جنوبها دولة هندوسية مضطهِدة للمسلمين وهي الهند، ومع هذا لم يغيِّر كل ذلك شيئاً من عقيدته.

هذا التمسُّك العجيب يُرهِب الصين، خاصةً أن الإحصائيات الرسمية الصينية تقول إن إجمالي المسلمين في الصين يبلغ ستين مليونًا، وتقول الإحصائيات الإسلامية أن العدد يربو على مائة مليون مسلم، لكن الصين تقلّل من الأعداد؛ لتهمِّش دور المسلمين وتُضعِف من حَمِيَّتهم ولا شك أن الصين تفكر في خطورة انتشار هذه الروح المتمسكة بالدين الإسلامي في الأعداد الإسلامية الغفيرة في الصين، كما أنّ احتمالَ انتشار الدعوة الإسلامية في الصينيين أنفسهم احتمالٌ كبير؛ فهم يعانون من خواءٍ رُوحي كامل، وليس عندهم عقيدة يتمسكون بها، ولو عُرض عليهم الدين الإسلامي بشكل واضح فقد يرتبطون به، وهذا خطر أيديولوجي كبير على الصين الشعبية التي ما زلت تتبنَّى الفكر الاشتراكي الملحد.

كل هذا يجعل الصين متمسكة بتركستان لتمارس عليها القمع الذي يمنع وصول الإسلام إلى عموم أهل الصين.

الأحلام الاستعمارية

عاشرًا: لا تهدأ الدول الاستعمارية عن التوسُّع، ولا تتوقف أبدًا أحلامُ الإمبراطوريات عن ضمِّ أراضٍ جديدة، وزيادة الرقعة المملوكة لها، ولا يقف تفكير الصين عند تركستان الشرقية، بل هي بوابتها إلى عدة دول ضعيفة لم تتحرر من الاستعمار السوفيتي إلا منذ أقل من عشرين عاماً، وهي كازاخستان وطاجيكستان وقيرغيزستان، ومن ورائهم أوزبكستان، إضافةً إلى الدول المحتملِ تحرُّرها والواقعة الآن تحت الاحتلال الروسي مثل تتارستان والشيشان وداغستان، وكلها دول إسلامية.

وتعتبر الصين نفسها الوريث الشرعي للاتحاد السوفيتي، وإذا كان الاتحاد السوفيتي، ومِن قبله روسيا القيصرية الأرثوذكسية قد احتلوا هذه الدول الإسلامية أكثر من ثلاثة قرون فليس هناك مانع من أن تبدأ الإمبراطورية الصينية دورتها، وأن تتوسع في هذه المناطق الضعيفة جدًّا، خاصةً مع حالة السكون الإسلامية، ومع الغفلة غير المبرَّرة التي يعاني منها العالم الإسلامي بشكل عام وهذا سيناريو قد يراه البعض تشاؤميًّا، لكن إنه السيناريو الأقربُ إلى الحدوث، ولا تقبل الدول الاستعمارية الكبرى عادةً بوجود كيانات هشّة إلى جوارها.

ولهذه الأسباب وقد يكون لغيرها كذلك قال الباحث الصيني في جامعة ألبرتا الكندية وينران جيانج، وهو يعلّق على الأسلوب القمعيِّ المتعسِّف الذي رأيناه من الحكومة الصينية في تعاملها مع الأزمة الأخيرة في تركستان في يونيو 2009م قال الباحث الصيني: إن الأهمية الاستراتيجية لشينجيانج (تركستان الشرقية) تعني أنّ أيَّ اضطرابات أو قلاقلَ تُحدِث مثل تلك الاضطرابات الأخيرة، لن تجد أيَّ دَرَّة تسامح من جانب الحكومة الصينية.

وهذا الذي قاله الباحث الصيني أمرٌ واقعيّ تماماً، وبعد أن رأينا كنوز تركستان وقيمتها فإنه من العبث أن نظنَّ أن الصينيين يتركونها راغبين بل على العكس علينا أن نفهم أن الحكومة الصينية ستبذل كل طاقاتها، وستستخدم كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لتركيع هذا الإقليم الإسلامي العظيم فلقد استخدمت الصين بالفعل وسائل شيطانية كثيرة تهدف إلى تحقيق أغراضها، ولم يعُدِ القتل هو الوسيلة الوحيدة للسيطرة على الشعوب إنما تتعدد الوسائل، وتتنوع الطرق، وكلها يؤدي في النهاية إلى نتيجة واحدة.

تُرى ماذا فعلت الصين في الثلاثين سنة الماضية لتحقيق السيطرة الكاملة على دولة تركستان الشرقية؟ وماذا يجب على الشعوب الإسلامية فعلُه إزاء هذه الكارثة؟!